الجامعة الإسلامية بمنسوتا
Islamic University of Minnesota
الفرع الرئيس

شرح الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية

د. أبوبكر الصديق عمر الفاروق القاضي

باحث دكتوراة السنة النبوية

أبوبكر القاضي

abobakrelkady AboBakr Elkady
www.abobakrelkady.net KonnashatElkady

المحاضرة الثامنة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ثمّ أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمدﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار، ثمّ أما بعد:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في الفتوى الحموية:

قال:"وكلام الأئمة في هذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هذه الفُتيا عُشْرَهُ، وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم مثل ما ذكره أبو سليمان

الخطابي في رسالته المشهورة في «الغُنْيَة عن الكلام وأهله» قال: فأما ما سألت عنه من الصفات، وما جاء منها في الكتاب والسنة، فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها"

طبعًا الظاهر اللائق بالله تعالى، وليس الظاهر الذي هو صفات الناس، أي الظاهر الذي لا يقتضي التشبيه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى:١١]

"ونفي الكيفية والتشبيه عنها"

نفي الكيفية أي نفي علمنا بكيفيتها وليس أن ليس لها كيفية، بل لها كيف ولكن الكيف مجهول.

قال: "وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله- وذكرنا هذا في المعطلة بأنواعهم- وحققها قوم من المثبتين، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف"

قال: "وإنما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه بالإثبات والجافي"

أي المقصر والمقصر عنه الذي ينفي حقيقته أي الغلو يقصد في الإثبات أو التنزيه وكلاهما غلو أو جفاء، وهذا ابتعاد عن النصوص ومفارقة له.

قال: "والأصل في هذا: أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات -هذه قاعدة لابد من حفظها جيدًا- فبما أن ذات الله ليست كذات المخلوقين فكذلك صفاته ليست كصفات المخلوقين"

قال: ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله نتبع فيه ما نقول في الذات، فإذا كان معلومًا أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية -أي علمنا الكيفية- فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف.

كلمة تحديد أي كمن قال :استوى على العرش بحد، وعامة السلف لم يقولوها، والصحيح أننا لا نزيد ألفاظًا بعيدة عما أجمع عليه السلف.

وكما أجمع السلف على أنه سبحانه بائن من خلقه فلم يجمعوا على كلمة بحد فالصواب أننا لا نثبت ذلك ولا نتكلم فيه كقول الخطابي السابق وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف.

قال: فإذا قلنا: يد وسمع وبصر وما أشبهها، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه - ليست كأيدي المخلوقين-، فكما أن ذاته ليست كذات المخلوقين فإن صفاته ليست كصفات المخلوقين.

قال: ولسنا نقول: أن معنى اليد القوة أو النعمة هذا التأويل كقول الأشاعرة والماتريدية، ولا معنى السمع والبصر العلم مثل قول بعض المعتزلة قديمًا وفي الحقيقة الأشعري قد أثبت السمع والبصر إثباتا مستقلًا.

قال: "ولا نقول: إنها جوارح نحن لا نثبت جارحة، فالجارحة التي يجرح بها الإنسان هي عضو من أعضائه وقابلة للتبعض وليس كذلك في شأن الله عز وجل، ولا نشابهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل"

أي عند البشر هي جوارح وأدوات للفعل والتي نسميها أبعاض والصفات التي عندنا أعراض كالسمع والبصر هي في حق الله صفات، وكما تقدم صفات الله عز وجل تليق وتناسب جلاله وكماله وعظمته تبارك وتعالى.

ونقول: إن القول إنما وجب إثبات الصفات لأن التوقف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنه؛ لأن الله ليس كمثله شيء، وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات (هذا كله كلام الخطابي)

وطبعًا نفي التشبيه أيضًا يقتضي نفي التمثيل؛ لأنه الذي ورد به النص

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}

فهنا ابن تيمية أقر كلمة نفي التشبيه وليس كما يظن البعض أن الكلمة الصحيحة هي نفي التمثيل وليس نفي التشبيه بل كلاهما منفي عن الله تبارك وتعالى.

قال: "وهكذا قال أبو بكر الخطيب الحافظ في رسالة له أخبر فيها أن مذهب السلف على ذلك، وهذا الكلام الذي ذكره الخطابي قد نقل نحوًا منه من العلماء ما لا يحصى عددهم، مثل: أبي بكر الإسماعيلي، والإمام يحيى بن عمار السجزي وشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي «صاحب منازل السائرين» «وذم الكلام» وهو أشهر من أن يوصف، وشيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني، وأبي عمر بن عبد البر النمري إمام المغرب وغيرهم.

وقال أبو نعيم الأصبهاني صاحب «الحلية» في عقيدة له، قال في أولها: "طريقتنا طريق المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال: فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله يقولون بها ويثبتونها -ثابتة في القرآن والسنة- من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، وأن الله بائن من خلقه"

وذكرنا أن هذه اللفظة لم ترد في الكتاب ولا في السنة نصًا إلا انها مستقرأة بمعنى العلو ومعنى إثبات ذات الرب عز وجل الخالق غير مخلوق، وهذه البينونة كما ذكرنا مجمع عليها عند أهل السنة لم يختلفوا في ذلك قط.

قال: "والخلق بائنون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستوٍ على عرشه في سمائه -أي كلام الله غير مخلوق لمباينة أهل البدع الحلولية والاتحادية- دون أرضه وخلقه"

ونفى هذا الأمر لينفي معنى الحلول والاتحاد كما ذكرنا، طبعًا في السماء قلنا في العلو أو فوق السماء.

قال الحافظ أبو نعيم في كتاب «محجة الواثقين ومدرجة الوامقين» -الومق هو الحب- قال: تأليفه "وأجمعوا أن الله فوق سماواته، عالٍ على عرشه مستوٍ عليه، لا مستولٍ عليه كما تقول الجهمية أنه بكل مكان"

الجهمية الأوائل في الحقيقة يقولون بالحلول وأن الله في كل مكان أمثال الحلاج وجهم، وذكرنا أن الأشاعرة يقولون أنه لا مكان ولا زمان وهو على ما كان، ويقولون: لا بائن ولا حال لا داخل العالم ولا خارجًا وينفون أنه في كل مكان لكن لا يثبتون البينونة وكلامهم في الحقيقة جمع بين المتناقضات لكنه خير من كلام الحلولية.

كلام الحلولية كفر مجرد يعني مناقض لما هو معلوم من الدين بالضرورة بخلاف الأشاعرة ففيه تأويل محتاج إقامة حجة وإن كان فيه تناقض واضح.

قال تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:٥]

له العرش المستوي عليه، والكرسي الذي وسع السماوات والأرض -أي الكرسي أعظم من السماوات والأرض- وهو قوله تعالى:

{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ} [البقرة:٢٥٥]، وكرسيه جسم"

أي كأنه كائن وله ذات وإن كان هذا لفظ لم يرد في الكتاب والسنة، ولكن هذا ليس منكر وإن كانت مسألة خلافية لكن الذي ورد عن ابن عباس إن الكرسي موضع القدمين ولا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع.

قال: "وكرسيه جسم" نحن نتوقف عند هذا الحد، نقول هو موضع قدمي الرب وهو بالنسبة للعرش كحلقة في فلاة، لكن لانعرف الكيفية هل هو جسم، كيف شكله نتوقف في هذا الأمر.

قال: "وكرسيه جسم، والأرضون السبع والسموات السبع عند الكرسي كحلقة في أرض فلاة، وليس كرسيه علمه -هذا هو المنكر لا شك كما قالت الجهمية- بل يوضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه، كما قاله النبيﷺ، وأنه تعالى

وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفًّا صفًّا كما قال تعالى:

{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر:٢٢]،

وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، فيغفر لمن يشاء من مذنبي الموحدين، ويعذب من يشاء؛ كما قال تعالى:

{يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ} [آل عمران:١٢٩]

وقال الإمام العارف معمر ابن أحمد الأصبهاني شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة في بلاده قال: أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة، وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر، وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين

قال فيها: "وإن الله استوى على عرشه بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل"

يقصد التأويل المذموم الذي هو الاستواء بالاستيلاء، وجهم هو الذي قال استوى بمعنى استولى، وبعد ذلك تسربت إلى أشاعرة ما تريدية.

قال: "والاستواء معقول -أي معقول المعنى- والكيف فيه مجهول، وأن الله عزوجل مستوٍ على عرشه بائن من خلقه" كل هذا في إثبات عقيدة السلف.

قال: "إن الله استوى على عرشه بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، والاستواء معقول، والكيف فيه مجهول، وأن الله عزوجل بائن من خلقه، والخلق منه بائنون بلا حلول ولا ممازجة، ولا اختلاط ولا ملاصقة - هي متضمنة بائن من خلقه فلا ملاصقة ولا حلول ولا مماسة فلا حرج فيها-، لأنه المنفرد البائن من الخلق، الواحد الغني عن الخلق.

وأن الله عز وجل سميع، بصير، عليم، خبير، يتكلم، ويرضى، ويسخط، ويضحك، ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكًا، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء فيقول: "هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر" ، ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه، ولا تأويل- كل هذه التأويلات الباطلة وليس معنى التفسير- فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال"

أي تأويل باطل أو تأويل مذموم صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى محتمل مرجوح بغير دليل، فكلمة تأول هنا بمعنى التأويل المذموم.

قال: أو تأول فهو مبتدع ضال وسائر الصفوة من العارفين على هذا"

وهذا كلام الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني شيخ الصوفية في حدود المئة الرابعة في بلاده، وهذه الوصية التي جمعت بين كلام أهل الحديث والأثر، وأهل المعرفة والتصوف، وإن كانوا على تصوف أهل السنة طبعًا.

وقال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد ابن محمد ابن هارون الخلال في كتاب «السنة» حدثنا أبو بكر بن الأثرم، حدثنا إبراهيم ابن الحارث عن العبادية حدثنا الليث ابن يحيى، قال: سمعت إبراهيم ابن الأشعث، قال أبو بكر . وهو صاحب الفضيل . قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: "ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو؛ لأن الله تعالى وصف نفسه فأبلغ، فقال:

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ • اللَّهُ الصَّمَدُ • لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ • وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}

[الإخلاص:١-٤]

فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه.

وكل هذا: النزول، والضحك، وهذه المباهاة، وهذا الاطلاع كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطلع، فليس لنا أن نتوهَّم كيف وكيف، فإذا قال الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه، فقل: بل أؤمن برب يفعل ما يشاء.

ونقل هذا عن الفضيل جماعة، منهم البخاري في «أفعال العباد»"

قضية الزوال نفسها لم ترد في الكتاب والسنة، يعني أنه ينزل ولا يخلو منه العرش، وهذا لا يتعارض في حق الله تبارك وتعالى.

إذًا لم يرد في الكتاب والسنة مسألة الزوال، لذلك لم يثبته ولم ينفه،

وإنما قال يفعل ما يشاء وينزل إذا شاء كيف شاء يجيء يوم القيامة ليفصل بين العباد كما يشاء تبارك وتعالى.

والصحيح أنه لا يخلو منه العرش؛ لأن هذه صفة ثابتة، وهذه صفة ثابتة أي النزول والاستواء ولا يوجد تعارض بينهم؛ لأن نزوله ليس كنزول الخلق وقد يكون بمعنى الدنو يعني السماوات والأرضين السبع كخردلة في كف الرحمن.

كلمة الاطلاع قالﷺ: "فاطَّلعَ إليهم ربُّكَ اطِّلاعةً ، فقالَ : هل تستَزيدونَ شيئًا فأزيدُكُم " [الترمذي] كل هذا ثابت لله.

قال: "ونقل شيخ الإسلام بإسناده في كتابه «الفاروق» .."

طبعًا المقصود بشيخ الإسلام هنا كلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي، وسبب تسمية شيخ الإسلام ابن تيمية وكذلك تسمية ابن القيم له بشيخ الإسلام في المدارج من باب حسن ظن عظيم وأدب وإلا فإن له إشارات تدل على الحلول والاتحاد كثيرا في مدارج السالكين والجبر، وتأولها ابن القيم وإن كانت تأويلات في بعض الأحيان متعسفة ولكنه أحسن الظن به كثيرا، وقال في منزلة التلبيس: "شيخ الإسلام حبيب إلى قلوبنا والحق أحب إلينا منه"

قال: "ونقل شيخ الإسلام بإسناده في كتابه «الفاروق» فقال: حدثنا يحيي بن عمار، حدثنا أبي حدثنا يوسف بن يعقوب، حدثنا حَرَميّ بن على البخاري، وهانئ بن النضر عن الفضيل، وقال عمرو بن عثمان المكي في كتابه الذي سماه «التعرف بأحوال العباد

والمتعبدين» قال: [باب ما يجيء به الشيطان للتائبين]، وذكر أنه يوقعهم في القنوط، ثم في الغرور وطول الأمل، ثم في التوحيد.

فقال: من أعظم ما يوسوس في التوحيد بالتشكل -أي ما يتشكل في ذهن العبد صورة معينة عن الله- أو في صفات الرب بالتمثيل والتشبيه، أو بالجحد لها والتعطيل.

فقال بعد ذكر حديث الوسوسة: وأعلم رحمك الله أن كُلَّ ما

توهمه قلبك، أو سَنَح في مجاري فكرك، أو خطر في معارضات قلبك من حسن أو بهاء، أو ضياء، أو إشراق، أو جمال، أو سنح مسائل، أو شخص متمثل، فالله تعالى بغير ذلك، بل هو تعالى أعظم وأجل وأكبر، ألا تسمع إلى قوله تعالى:

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١] ،

وقوله: {وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص:٤].."

هذا من أوضح ما يدل على أن السلف لا يتكلمون في تكييف معين نسأل الله العفو والعافية فيعني ما يتكلمون أن الله تعالى له الأبعاد الثلاثية لا شك أن هذا تجسيم، لم يقل به السلف نسأل الله العفو والعافية.

قال: "فالله تعالى بغير ذلك، بل هو تعالى أعظم وأجل وأكبر، ألا تسمع إلى قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١] ،

وقوله: {وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص:٤]

كفوا أحد: أي لا شبيه ولا نظير ولا مساوٍ ولا مثل.

أَوَلَمْ تعلم أنه تعالى لما تجلَّى للجبل تدكدك لعظم هيبته، وشامخ سلطانه؟ فكما لا يتجلى لشيء إلا اندك، كذلك لا يتوهمه أحد إلا هلك.

فرُدّ بما بين الله في كتابه من نفيه عن نفسه التشبيه والمثل والنظير والكفؤ.

فإن اعتصمت به وامتنعت منه -أي من الشيطان الذي يوسوس لك- أتاك من قبل التعطيل لصفات الرب تبارك وتعالى وتقدس في كتابه وسنة رسوله محمدﷺ فقال لك: إذا كان موصوفًا بكذا أو وصفته، أوجب لك التشبيه فأكذبه، لأنه اللعين إنما يريد أن يستزلك ويغويك ويدخلك في صفات الملحدين الزائغين الجاحدين لصفة الرب تعالى"

طبعًا حين يقول لك أن الإثبات يستلزم التشبيه هذا باطل، هو يستلزم إثباتًا يليق بجلاله وكماله بلا تشبيه ولا تمثيل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل.

قال: "واعلم رحمك الله تعالى أن الله واحد لا كالآحاد فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد إلى أن قال: خلصت له الأسماء السَّنِيَّة -من السناء أي الرفعة والعلو- فكانت واقعة في قديم الأزل بصدق الحقائق، لم يستحدث تعالى صفة كان منها خليًا، أو اسمًا كان منه بريًا تبارك وتعالى"

* ماذا نقول في الصفات الفعلية المتعلقة بالقدرة والمشيئة؟

قديمة النوع حادثة الأفراد.

إذًا هو متصل بها أيضًا قديمة النوع لكنه يستحدثها إذا شاء تبارك وتعالى بمعنى يفعلها إذا شاء في الوقت الذي يشاء متعلقة بالقدرة والإرادة.

"خلق خلقه فإذا شاء إذا شاء فهو لم يزل موصوفًا بالخالق قبل أن يخلق الخلق، وهكذا في كل صفات فإنه محي الموتى موصوف بذلك الآن وجامع الناس اليوم لا ريب فيه قبل أن يفعله ولكنه صفته يفعلها حين يشاء" إذًا قديمة النوع حادثة الأفراد.

قال: "فكان هاديًا سيهدي، وخالقًا سيخلق، ورازقًا سيرزق، وغافرًا سيغفر، وفاعلًا سيفعل، ولم يحدث له الاستواء إلا وقد كان في صفة أنه سيكون ذلك الفعل فهو يسمى به في جملة فعله كذلك"

- وهذا رد على الكرّامية الذين قالوا: تكلم سبحانه بعد أن لم يكن متكلمًا، وأهل السنة يقولون: لم يزل متكلمًا متى يشاء.

- والكرّامية يقولون: فعل بعد أن لم يكن فاعلًا

وأهل السنة يقولون: بل لم يزل فعال لما يريد في الوقت الذي يريد.

مسألة الارتباط بالوقت والزمن ليس به بأس لأن الزمن ليس شيئًا وجوديًا تحل فيه المخلوقات حتى نقول أن الله فعل كذا فقد حل في الزمن لا بل هذا الارتباط بالزمن ليس حلولا بل يفعل الله ما يشاء متى يشاء تبارك وتعالى.

"قال الله تعالى: {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر:٢٢]

بمعنى أنه سيجي، فلم يستحدث الاسم بالمجيء، وتخلف الفعل لوقت المجيء"

إذًا لن ينفي عنه الفعل مطلقًا، بل هو موصوف به قبل أن يفعله فهو جاء سيجيء.

"ويكون المجيء منه موجودًا بصفة لا تلحقه الكيفية ولا التشبيه -ولا تشبه بهم- لأن ذلك فعل الربوبية"

إذًا هو متصل بذلك قبل أن يفعلوه، فإذا فعله ما تشاء فهذا حادثة الأفراد من قديم النوع حادثة الأفراد.

قادر على أن يجيء في أي وقت، وهو يجيء في الوقت الذي يريده قادرًا أن يتكلم في أي وقت كما يقولون متكلم بالقوة متكلم بالفعل.

قال: "أن ذلك فعل الربوبية فيستحسر العقل، وتنقطع النفس عند إرادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود، فلا تذهب في أحد الجانبين لا معطلاً، ولا مشبهًا، وارضَ لله بما رضي به لنفسه، وقف عند خبره لنفسه مسلمًا، مستسلمًا، مصدقًا؛ بلا مباحثة التنفير ولا مناسبة التنقير -أي التشبيه التعطيل والتقصي الشديد- إلى أن قال: فهو تبارك وتعالى القائل: {أَنَا اللَّهُ} [القصص:٣٠] لا الشجرة"

إذًا لم يحل في الشجرة أو أنه خلق الكلام في الشجرة، فلا الشجرة ولا الوادي حل فيه الرب، إذ كلم موسي من ناحية الشجر ولم يحل فيها

{نُودِيَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ } [القصص:٣٠]

قال: "الجائي قبل أن يكون جائيًا"

قلنا هذا في سياق الخبر بمعناه أنه تبارك وتعالى متصف بذلك قبل أن يفعله، قديم النوع حادث الأفراد متعلق بالقدرة والمشيئة.

هم بذلك يشتقوا من بعض الأفعال أسماء، ولكن نحن نقول أنه ينبغي أن تُنزل على الكمال المطلق لله تبارك وتعالى.

قال: الجائي قبل أن يكون جائيًا لا أمره المتجلي لأوليائه"

إذًا هو متصل بذلك يعني لا نتأول ذلك فيقول جاء أمر الله"

" المتجلي لأوليائه في الميعاد"

أن يتجلى لهم ربهم ضاحكًا أو يتجلى لهم ويأتيهم في صورة غير التي يعرفون.

"فتبيَضُّ به وجوههم، وتَفْلُج به على الجاحدين حجتهم، المستوي على عرشه بعظمة جلاله فوق كل مكان تبارك وتعالى، الذي كلم موسى تكليمًا، وأراه من آياته، فسمع موسى كلام الله؛ لأنه قَرَّبَه نَجِيًّا

تقدس أن يكون كلامه مخلوقًا أو محدثًا أو مربوبًا، والوارث لخلقه"

قال تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} [مريم: ٤٠]

فالله سبحانه كتب على خلقه الفناء ولا يبقى إلا هو سبحانه، بل هو وحده سبحانه الوارث لجميع الخلق فكأنه هو الحالة هذه ورث الأرض ومن عليها الآخر الذي ليس بعده شيء"

قال: "السميع لأصواتهم، الناظر بعينه إلى أجسامهم"

صرح بها أهل العلم وبعضهم ذكر أيضًا إثبات الناظر وإثبات العين وهذا أحب إلينا وبعضهم قال: العينين من قوله "إن المسيح الدجال أعور وربكم ليس بأعور" {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}"

قال:" يداه مبسوطتان، وهما غير نعمته - يدين حقيقتان كما يليق بجلال الله- خلق آدم ونفخ فيه من روحه وهو أمرُه تعالى وتقدس أن يحل بجسم، أو يمازج بجسم -روح مخلوقة نسبت إليه تشريفًا. أو يلاصق به"

ذكرنا أن الملاصقة والمماسة ثبت نفيها عن غير واحد من أهل العلم، وهي منفية بإثبات المباينة، والفوقية أصلًا تنافي الاتحاد والحلول

{يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ} [النحل:٥٠]

{الرَّحْمَـٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه:٥]

وكل صفة العلو تنافي الممازجة والحلول والاتحاد والمماسة والملاصقة وتثبت المباينة.

قال: "تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، الشائي له المشيئة، العالم له العلم، الباسط يديه بالرحمة، النازل كل ليلة إلى سماء الدنيا"

وهذا إخبار عن صفة المشيئة لله تبارك وتعالى.

كل هذا من باب إثبات قضية الصفات، أما قضية الاشتقاق قضية ثانية خلافية والصحيح في هذا أن الاشتقاق بشروط التوقيف، وأن تدل على الكمال والجمال وجلال الله وألا تهم نقصًا بوجه من الوجوه بحيث يمدح بها تبارك وتعالى.

قال: "ليتقرب إليه خلقه بالعبادة -أي في الفترة الأخيرة من الليل- وليرغبوا إليه بالوسيلة، القريب في قربه من حبل الوريد، البعيد في علوه من كل مكان بعيد، ولا يشبه بالناس"

الصحيح في قوله تعالى

{وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ} [ق: ١٦]

أنه قرب الرب عز وجل وهو فوق العرش وليس الملائكة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فهذا قرب العلم والإحاطة مع إثبات علوه على عرشه

عز وجل إلى أن قال: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} القائل: {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ • أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} [الملك:١٦.١٧]

تعالى وتقدس أن يكون في الأرض كما هو في السماء جل عن ذلك علوًا كبيرًا"

كلمة البعيد لم ترد في كتاب ولا سنة، لكنه نقول المستوٍ على عرشه البائن من خلقه، أي أنه معنى مفهوم من الفوقية وأجمع السلف على فهم ذلك.

"قال الإمام أبو عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبي في كتابه المسمى: «فَهْم القرآن» قال في كلامه على الناسخ والمنسوخ: أن النسخ لا يجوز في الأخبار قال: "لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وأسمائه وصفاته يجوز أن ينسخ منها شيء إلى أن قال: وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة عليا أن يخبر بعد ذلك أنها دنية سُفلى، فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب وأنه لا يبصر ما قد كان، ولا يسمع الأصوات، ولا قدرة له، ولا يتكلم ولا الكلام كان منه، وأنه تحت الأرض لا على العرش جل عن ذلك"

طبعًا كل هذا الحارث ينفي نفي الجهمية للصفات أي يرد عليهم؛ لأنهم ينفون عنه صفة العلم ومقتضي ذلك أنه جاهل ببعض الغيب نسأل الله عز وجل العفو والعافية، وهذا حقيقة كلام المعتزلة والجهمية وهذا يترتب عليه نفي القدر.

سنقف عند كلام المحاسبي، ونستكمله بإذن الله تبارك وتعالى المرة القادمة

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.